Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(7); August 2019

Artical History

Received/ Geliş 14.06.2019 | Accepted/ Kabul 24.07.2019 | Available Online/yayınlanma 01.08.2019.

Definition term rhyme in Arabic

مصطلح القافية في العربية

عبدالله بن إبراهيم بن مبروك العجمي /ماجستير اللغة العربية وآدابها

وزارة التربية والتعليم بسلطنة عُمَان

Abdallah Ibrahim Mabruk Al ajmi
Master of Arabic Language and Literature
Ministry of Education in the Sultanate of Oman

ملخص

إن مصطلح القافية مصطلح قديم يرتبط بالشعر منذ عرفته العربية ، فهي ركيزة في بنيان ايقاعنا الشعري حيث أصبحت ركناً هاماً من أركان الوزن الشعري فقديماً قالوا الشعر يقوم على أربعة أشياء و هي: اللفظ، و الوزن، و المعنى، و القافية، و فهذا هو حد الشعر.

و في بحث كهذا يحق لنا أن نصرّح بأن هذا الركن و إن عدت عليه عوادي الزمن تحور من هيئته أحياناً؛ فإنه باق بقاء لغة للحرس الموسيقي وقّع فيها. فهي تاج الايقاع الشعري، فهما وجهان لقطعة واحدة.

كما لاقت القافية اهتماماً كبيراً من علماء العربية، فقد عنيت العربية بالكلام المقفى منذ أقدم عصورها، فلم تعرف لغة بها من القافية كما للعربية، و ليس أدل على هذا ما حفلت به لغة التنزيل العزيز من أفانين السجع و المزاوجة.

كما ظهرت مؤلفات عدة، و معاجم عدة إهتمت بالقافية أو بالتقفية، كما يسميها بعض أصحاب المعاجم، و رتبت مداخل العربية، و مفرداتها حسب نظام القافية، لذلك فإن هذه الورقة تهتم بتتبع مصطلح القافية أو كما يحلو للبعض تسميته بالتقفية، وذلك في كتب علماء العربية و معاجمها.

الكلمات المفتاحية: قافية،شعر،معجم،كلام.

Abstract

The definition rhyme is an old term which was related to poetry ever since Arabic language knew it, hence it is a pillar in our poetic rhythm construction and therefore it has become a significant basis of the poetic equalization as they said in the old days: poetry stands on four things: pronunciation, equalization, meaning, and rhyming, which is this poetry's edge.

In such paperwork, we have every right to declare that this basis regardless being passed by time's changes has transformed from its original format sometimes; yet it's still remaining as a language guarding the musical change that happened to it. Because it's the poetic rhythm's crown, indeed they're two faces of one coin.

In addition, the rhyme gained a great interest from the scientists of Arabic, thus Arabic was keen of rhymed speech from its early days, there was never a rhymed language like Arabic. And the biggest proof of this is the rich content of assonance and mating arts in the holy Quran.

Also, a lot of writings and dictionaries have appeared focusing on the rhyme and rhyming, as some dictionaries writers calls it, and arranged the Arabic language intros, and words based upon the rhyme system. Therefore, this paperwork concentrates on following the rhyme term or rhyming as some fancy to say, in the scientist of Arabic language books and dictionaries.

أولا القافية: في اللغة:

تتفق المعاجم على أن الجذر (ق، ف، و)، يدل على

1- (التَّتبع): فقد ورد في معجم العين للخليل بن أحمد تفسيرا لهذه المادة اللغوية(ق، ف، و) وذلك ما نصَّه: " القفو: مصدر قولك: قفا يقفو، وهو أن يتَّبع شيئا، وقفوته أقفوه قفوا، وتقفَّيتُه، أي اتبعتُه. قال تعال: (ولا تقف ما ليس لك به علم). ... والقفا: مؤخرة العنق"[1]،

2- (القذف بالريبة): يقول الخليل: " وقفوتُه: قذفتُه بالزنية، وفي الحديث: " من قفا مؤمنا بما ليس فيه وقفه الله في ردْغة الخبال " أي: قذفه"[2].

3- (الإكرام): ذكرها الخليل في معجمه ، فقال: "فلان قَفيٌّ بفلان: إذا كان له مكرما، ويقتفي به، أي: يكرمه"[3].

4- (ضرب القفا): فقد جاء في العين ما نصُّه: " تقفَّيتُه بعصاً، أي: ضربتُ قفاه بها. واستقفيتُه بعصاً، إذا جئتُه من خلفٍ وضربتُه بها"[4]
[5]

5- (الاختيار): جاء في جمهرة ابن دريد ما نصُّه: " فلان قفوتي، من قولهم: اقتفيتُ الشيء، أي: اخترته" [6].

وممن ذكر هذه الدلالة الزمخشري في أساسه [7]، والفيروز آبادي في قاموسه[8]، والمجمع اللغوي في وسيطه[9]

[1] - الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة ، العراق، 1986م، ج5، ص 221.
[2] - ينظر: كتاب العين، ج5، ص 222.
[3] - ينظر: كتاب العين، ج5، ص 222.
[4] - ينظر: كتاب العين، ج5، ص222.
[5] - ينظر: ج2، ص 752.
[6] - ينظر: ج3، ص 156.

6- (جعل له قوافي): وتفرد في هذه الدلالة من القدماء الزمخشري، فقال: " قفَّى الشعر: جعل له قوافٍ "[10]، وهي دلالة ذكرها المجمع اللغوي القاهري في معجمه[11].

7- (مات): تفرد بذكرها الصاغاني، فقال: " قفَّى عليهم الخيال، أي: ماتوا [12]

القافية: في اصطلاح العروضيين واللغويين والشعراء:

تعددت تعريفات القافية في الاصطلاح بمعان عدة وهي على النحو الآتي:

أولا: هي آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه، مع المتحرك الذي قبل الساكن.[13]. ويرجع سبب ذلك إلى أن رأي الخليل مبني على أساسٍ صوتيٍّ إذ تتداخل القافية مع مقاطع البيت كلها سواء أكانت مقاطع القافية في بعض كلمة، أم في كلمة، أو كلمتين فالأساس هنا هو التوالي المقطعي[14].وصاحب هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد.

وهنا طائفة من الأبيات نستعرض قافيتها تطبيقا لذلك التعريف النظري :

1- القافية مكونة من كلمتين:

أنت على مالك من مروءة رميت بالغدر أحب من وفى

الساكن الأخير هو (ألف وفى)، والذي قبله هو (نون مَنْ) والمتحرك الذي قبل هذا الساكن هو (الميم). إذن فقافية هذا البيت هي(من وفى) وهي كلمتان.

2- القافية مكونة من كلمة وبعض كلمة:

لا تخدعوني قادرا وعاجزا كفى غرورا بالولايات كفى

[7] - ينظر: ص 518.
[8] - ينظر: ترتيب القاموس المحيط، ج3، ص 671.
[9] - ينظر: المعجم الوسيط، ج2، ص 752.
[10] - ينظر: أساس البلاغة، ص 518.
[11] - ينظر: المعجم الوسيط، ج2، ص 752.
[12] - ينظر: التكملة والذيل والصلة، ج6، ص 496.
[13] - الأخفش : سعيد بن مسعدة، القوافي، ص تحقيق: الدكتورة عزة حسن، دمشق، ص8.
[14] - محمد حماسة عبداللطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية، ص 172.

الساكن الأخير هو (ألف كفى) والذي قبله هو (الألف) التي قبل (التاء) في (الولايات) والمتحرك الذي قبل الساكن هو (الياء) في (الولايات). إذن فقافية البيت هي (يات كفى) وهي كلمة وبعض أخرى.

3- القافية مكونة من كلمة:

قشعريرة الخوف اعترتني ولم تكن إذاماقشعرت تحتي الأرض تعتري

الساكن الأخير (العين والياء في تعتري) والمتحرك قبلهما، هو (التاء)، إذن فالقافية هي (تعتري) وهي كلمة.

4- القافية مكونة من بعض كلمة:

وما منزل الأبطال إلا رحى إذا هي دارت أوراق المعسكر

الساكن الأخير هو الياء الناشئة من اشباع كسرة الراء الأخير، والساكن الذي قبله هو السين، والمتحرك الذي قبلها هو العين. إذن فالقافية هي (عسكر) وهي بعض كلمة.

فقد ظهر لنا أن القافية هي الحرفان الساكنان الأخيران وما بينهما والمتحرك الذي قبل الأول، وأنها قد تكون مركبة من كلمتين أو من كلمة وبعض أخرى، وقد تكون كلمة واحدة أو بعض كلمة.[15]

- ثانيا: هي آخر كلمة في البيت".[16] وصاحب هذا القول هو الأخفش الأوسط[17]"

- ثالثا: أنها: الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وهو المسمى رويّاً"[18]،وانصار هذا الرأي هم: قطرب وثعلب[19]، والفراء

[15] - مقرر علم القافية، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، الكلية الجامعية بالقنفذة، قسم اللغة العربية، ص3,
[16] ينظر: لسان العرب، (قفا) ج8، ص 634.
[17] - ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص 72.
[18] - ينظر: أبو علي محمد بن المستنير، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت ج1، ص 242.
[19] - ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 141.

- رابعا: أنها كل شيء لزمتْ إعادته من آخر البيت[20] وهو رأي ابن كيسان[21].

- خامسا:: هي حرف الروي الذي يبنى عليه الشعر، ولابد من تكريره فيكون في كل بيت. وهو رأي لابن عبد ربه[22]

- سادسا:: هي القصائد، وإنما قيل لها: قواف أن القافية تكون في آخرها وقد أختلف الناس في القافية. وهذا الرأي لأبي العلاء المعري[23]

- سابعا:: هي آخر البيت, مأخوذة من قولك: قفوت فلانا إذا تبعته. وهو رأي لابي يعلي التنوخي[24]

- ثامنا:: هي القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر. وصاحب هذا القول ابن رشيق[25]

تاسعا:: أنها كل ما يلزم الشاعر إعادته في سائر الأبيات من حرف وحركة. وهو رأي لابن السراج الشنتريني[26]

والملاحظ للباحث من خلال تلك التعريفات أن تعريف الخليل للقافية أنه يحددها تحديدا علميا دقيقا ويجعلها مقطعا، أو بعض مقطع، أو كلمة وبعض كلمة أو كلمتين، بحيث تكون نغمة مستقلة

[20] - ينظر: لسان العرب.
[21] - ابن كيسان: ابو الحسن محمد بن أحمد ، تقليب القوافي وتلقيب حركاتها ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، منشور في رسائل ونصوص، الأردن، 1988، مكتبة المنار، ط1.
[22] - ابن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة، ج4، ص 72.
[23] - ابو العلاء المعري، ضوء السقط، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس. لم يرقم.
[24] - التنوخي: ابو يعلي، القوافي، تحقيق: الدكتور محمد عوني عبد الرؤف، القاهرة، 1975، مكتبة الخانجي، ط1، ص 29.
[25] - القيرواني: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيى ، بيروت، 1972، ط1، ص 151.
[26] - ابن السراج السنتريني، الكافي في علم القوافي، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، بيروت، 1968، ص 89.

واحدة، فهو لم يرسلها كما أرسلها سواه، بل أراد لها أن تكون مقطعا موسيقيا منغما، مستقلا عن مقاطع البيت الأخرى، وإن كان مرتبطا بها برباط سحري شفاف، على أنه جزء من موسيقى القصيدة، وهذا بنظرنا الأصح والأقرب إلى الروح الشعرية والمنطق، والمتأمل للفكرة جيدا يدرك ما لهذا الكلام من قيمة فكرية وتنغيمية كما يدرك ما كان يتمتع به الخليل من بعد نظر وطول أناة وسعة علم.

تعريف القافية عند الشعراء:

تكررت مادة القافية وما تفرع عنها كثيرا في الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين، وكان أكثر الألفاظ ورودا فيه (القوافي)، وسنعرض هنا شواهدا شعرية لما ورد من هذه المادة:

- أولا: بمعنى (نتبع ونختار) و (تؤثر وتفضل)و شواهد ذلك في مادة الأصمعيات[27]:

فقد وردت مرتين مرة بلفظ تقفى والأخرى تقفو.

الأولى في شعر الأجدع بن مالك الهمذاني المقطوعة 16.

تقفو الجياد من البيوت ومن يبع فرسا فليس جوادنا بمباع

معناها:

الأخرى في شعر الأسعر الجعفي المقطوعة 44 وفيها يقول:

لكن قعيدة بيتنا مجفوة باد جناجن صدرها ولها غنى

تقفى بعيشة أهلها وثابة أوجرشعا عبل المحازم والشوى

- ثانيا: بمعنى (القصيدة) في الشعر والشعراء لابن قتيبة[28]:

فقد وردت ثلاث مرات، مرتين بلفظ (القوافي) في شعر سويد بن كراع العكلي وشعر لكعب بن زهير، وثالثة بلفظ (قفا) في شعر نصيب.

يقول سويد بن كراع:

[27] - اختيار الأصمعي: عبد الملك بن قريب، الأصمعيات، تحقيق وشرح، أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة، 1977، ط4،
[28] - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، القاهرة، 977، دار المعارف، ط2.

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادى بها سربا من الوحش نُزَّعا

ويقول كعب بن زهير:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوَّز جرول.

ويقول نصيب:

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب.

- في المفضليات[29]:

وردت ثلاث مرات بهذه الصيغ: قفا – قفيٌّ – مقفية.وهي بمعنى(الضيف المكرم، وما يقدم له من طعام) و(مولية ماضية) و (هنا بمعنى تبع), الأولى صفحة 121، المقطوعة 22 ورد بيت لسلامة بن جندل يقول فيه:

ليس بأسفى ولا أقنى ولا سعل يُعطى دواء قفيِّ السكن مربوبِ

والثانية في صفحة 275 المقطوعة 70، ورد قول بشر بن عمرو بن مرثد:

بل هل ترى ظُعُنا تحدى مُقَفِّيةً توال وحادٍ غير مسبوق

الثالثة في صفحة 372 المقطوعة 112، ورد قول سبيع بن الحطيم التيمي يقول:

فزجرتها لما أذيتُ بسحرها وقفا الحنين تجرُّرٌ وصريف

- في المعلقات السبع:

[29] - الفضل الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر و عبد السلام هارون، القاهرة، 1976، دار المعارف، ط5،

وردت صيغتان بمعنى (العنق) و (أعجازها)، واحدة في شعر عمرو بن كلثوم (قفا)، والثانية (مقفية) في شعر الحارث بن حلزة.

يقول عمرو بن كلثوم:

عشوزنة إذا انقلبت أرنت تدق قفا المثقف والجبينا

ويقول الحارث بن حلزة:

ما جزعنا تحت العجاجة إذ ولَّت بأقفائها وحَرَّ الصلاء

- في حماسة أبي تمام:

ورد في ديوان الحماسة ثلاثة أبيات بمعنى: (القصائد) و (البيت الشعري) و(المكرم من الضيوف)، فالبيت الأول وردت فيه كلمة (القوافي)، والثاني (القافية)، والثالثة (اقتفاء).

البيت الأول في قول الشميذر الحارثي:

بني عمنالا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء العمير القوافيا

- البيت الثاني هو قول الشاعر عبيد بن ماوية الطائي:

وقافية مثل حد السنان تبقى ويذهب من قالها

تجودت في مجلس واحد قراها وتسعين أمثاله

- البيت الثالث قول بكير بن الأخفش:

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الأوطان في زمن محل

فما زال بي إكرامهم واقتفاؤهم وإلطافهم حتى حسبتهم أهلي

ونظرا لعلاقة القافية بالشعر وما تضفيه عليه غدا الكشف عنها كشفا عن جوهر الشعر وأجمل ما فيه. فالقافية سحرها في نقل لطائف المعنى وأحاسيس قائلها، وذلك من خلال الشعور الذي يوحيه جرسها، والخاطر الذي يمثله في الطبائع والأذهان و الأنفس والقلوب، فالجرس الموسيقي للقافية من أبلغ الطرق للوصول إلى هذه الغايات، قال الحاتمي: على الشاعر أن يتأمل الغرض الذي يرميه فكره، فينظر مع أي القوافي يكون أشد اطرادا، فيكسوه أشرف معارضة، ويبرزه في اسلم عباراته، ويعتمد إقرار المعنى مقارّها، وإيقاعها مواقعها.[30] وأكد أبو هلال العسكري قول الحاتمي فقال: إذا اردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك، واخطرها على قلبك، واطلب لها قافية يحتملها، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى.[31] و وافقهما العلوي عندما قال: إذا أراد الشاعر أن يبني قصيدة، أو ينظم قطعة صوّر المعنى في قلبه، واختار له من القوافي ما يوافقه.[32] ورأى المرزوقي: القافية كالموعود المنتظر يتشوقها المعنى بحقه، واللفظ بقسطه.[33] وربط القرطاجني القافية بالغرض الشعري فالناظم عنده يحضر مقصده في خياله وذهنه، والمعاني التي هي عمدة له بالنسبة إلى غرضه ومقصده، ويتخيلها تتبّعا بالفكر في عبارات بدد، ثم يخلط ما وقع في جميع تلك العبارات أو أكثرها طرفا، أو مهيئا لأن يصير طرفا من الكلم المتماثلة المقاطع، الصالحة لأن تقع في بناء قافية واحدة، ثم يضع الوزن والرّوي بحسبها؛ لتكون قوافيه متمكنة تابعة للمعاني لا متبوعة لها.[34]

وقد درس القرطاجني القافية من جهة اعتناء النفس بما وقع في النهاية،[35] فتنبه إلى أنّ تكرار القافية، ووقوعها في آخر البيت، تتيح للمتلقي فسحة من صمت تتجاوب فيه القافية في ذاكرته، فتكون أعلق بالمحافظة، وأشد أثرا من سواها من كلمات البيت، فأصداؤها تتردد في الذهن.

[30] - الحاتمي، محمد بن حسن ، الرسالة الموضحة في ذكرى سرقات ابي الطيب المتنبي وساقط شعره، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1385هـ/1965م، ص42.
[31] - ابو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، المكتابة والشعر، ط1، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ، 1371هـ/ 1952م، ص139.
[32] - العلوي، المظفر بن الفضل، نضرة الإغريض في نصرة القرض، ط2، تحقيق، نهي عارف الحسن، دار صادر، بيروت، مجموعة العربية بدمشق، 1416هـ/ 1995، ص 389.
[33] - المرزوقي، أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، تحقيق، أحمد أمين عبدالسلام هارون، القاهرة، 1967، ج1، ص61.
[34] - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 204.
[35] - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص271.

ورأت نازك الملائكة ان القافية نقطة القوة والصلابة في كيان الشطر،[36] بل هي حياة كاملة تنبت الأفكار، وتفتح للشاعر " أبواب معان مبتكرة لم تكن تخطر على باله مطلقا،[37] وتفتح كنوز المعاني الخفية، وتغير اتجاه القصيدة إلى مجالات خصبة مفاجئة،[38] ومفتاح سحريّ يقودنا إلى المناطق غير الواعية من العقل الباطن للشاعر،[39] وهي نجمة متألقة يلقيها الشاعر على الطريق، إنها معالم مضيئة في الدرب، ولذلك نفرح حين نصادفها وكأننا ألتقينا بحبيب فارقناه زمنا.

- تعريفات القافية مع اللغويين المحدثين:

رأى ياكوبسون: أن القافية تقتضي بالضرورة علاقة دلالية بين الوحدات التي تربط بينها، وإن طبيعة هذه العلاقة الدلالية هي التي ينبغي توضيحها[40].

وأكد جان كوهين أن هذا المدى الدلالي للقافية كثيرا ما تم التأكيد عليه، فقال: إن القافية وظيفة الإعلام بنهاية البيت في الشعر، وهي لا تظهر وظيفتها إلا في علاقتها بالمعنى، وليست مجرد تشابه صوتي أو حلية للخطاب وسواء كانت هذه العلاقة موجبة أو سالبة فهي في جميع الأحوال علاقة داخلية، ومكونة لهذا المقوّم، ويجب أن تدرس القافية داخل هذه العلاقة.[41]

ومن المحدثين العرب من رأى أن القافية تسهم في نقل ما أراده الشاعر من معان وإيحاءات.[42]

و الدكتور إبراهيم أنيس يقول في القافية: ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في آو اخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا ما يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من المقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن.

[36] - الملائكة، نازك، سايكولوجية اللغة ومقالات أخرى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993م، ص 64.
[37] - المرجع السابق، ص79.
[38] - المرجع السابق، ص 72.
[39] - المرجع السابق، ص 61.
[40] - ينظر: كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ط1، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار تو بقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص 209.
[41] - المرجع السابق، ص32.
[42] - سلطان، محمد علي، العروض وموسيقى الشعر العربي، جامعة دمشق، ص 18-20,

وهكذا تستعمل القافية في الشعر استعمالا خاصا أبعد من كونها ذات نهاية صوتية متماثلة للدوائر المقطعية- الأبيات — في الشعر.[43] فهي تلعب دورا دلاليا هاما من شأنه أن يبرز جوانبها التخييلية والإيحائية.

ومن هنا يتبين لنا أن القافية هي الجزء المكمل لإيقاع البيت الشعري، وهي الدفقة التي تمنحه وظيفة جمالية بترديدها في أخر الأبيات بوصفها آخر مظهر من مظاهر الإيقاع في البيت الشعري إذ يصل الإيقاع إلى مداه فيها بما توفره من انسجام صوتي بين حروفها تلك التي يشكل الروي والردف والتأسيس أبرز مظاهرها، فتشترك مع مع إيقاع البيت وتتجاوب معه في النسق العام، والإيقاع الشعري لا يمكن أن يحصر الشحنات الوجدانية للشاعر ما لم تتفق القافية معه، فهما المنظمان لانفعالاته ولا سيما القافية، بيد أنها لا تحول دون انطلاق الأحاسيس والعواطف ضمن المعاني والأفكار التي تنظمها، والألفاظ والتراكيب الفنية عندما تتشكل مقومات العمل الشعري، أو تقيدها، وإنما هي الضابط الذي يحصر الشاعر ساعيا في تنظيم المكونات الشعرية إلى آخر وحدة موسيقية في البيت، ثم يعود لتنظيمها، في البيت الآتي بعده وهلم جرا؛ لأن هذه المقومات الشعرية ممتدة إلى آخر القصيدة، أو المقطوعة بنظام فني متلاحم ينساق الشاعر وراءه ليشكل خطّا لإبداعه الشعري لا خيار له في سواه.

ومن هنا طبعت القافية بطابع الدلالة والنغم في بناء العمل الشعري فترديد موسيقى القافية في نهاية العمل الابداعي الشعري تمنح قوة للإيقاع وتخلق شعورا ذا وقع طيب في أذن السامع إذا كان المعنى المطروق في البيت يدل عليه، وبخلافه إذا كان المعنى ينبو عن ذوق السامع.

ومن أبرز مظاهر القافية وأوضحها حرف الروي "وهو النبرة أو النغمة التي ينتهي بها البيت ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة؛ ليكون الرباط بين هذه الأبيات يساعدها على حبكة القصيدة وتكوين وحدتها، وموقعه آخر البيت وإليه تنسب القصيدة

ويرى الغزالي أنه لا سبيل إلى استثارة خفايا القلوب إلا بقوادح السماع، ولا منفذ إليها إلا من دهليز الاسماع، فالنغمات الموزونة تخرج ما فيها، وتظهر محاسنها أو مساويها.

[43] - عبد اللطيف، محمد حماسة، اللغة وبناء الشعر، دار غريب، 2001م، ص 218.

يقول الجاحظ: " وأمر الصوت عجيب، وتصرفه في الوجوه عجب. فمن ذلك أن منه ما يقتل، كصوت الصاعقة، ومنه ما يسرُّ النفوس حتى يفرط عليها السرور... وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم. وقد بكى ماسر جويه- طبيب بصْري، كان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية- من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيتَ من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: إنما ابكاني الشجا".[44]

ولشدة حاجة العرب إلى تحسين كلامها اختص كلامها بأشياء لا توجد في غيره من ألسن الأمم، منها القافية[45]، إذ كانت للشعر نظاما، وللبيت اختتاما[46]. وقد يجيء من القوافي ما يكون رقى العقارب أحلى منه[47]، وقد يجيء ما يقع موقعا لو اجتهد الشاعر أن يسد مسده لأعياه ذلك وعنّاه [48]، فالقافية في الشعر" من أعظم الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس"[49]. ولن يرقى الشعر " إلى مراتب الجودة والكمال ولن يرضي أو

يغذي فينا ذلك الاحساس بالبهجة ما لم يلتئم ويترابط بتلك النقرة الصوتية المتكررة"[50]، "فالذهن يشعر بالمتعة دائما من سماع الأصوات المتشابهة أو المتقاربة"[51].

ولقد اعتنى العرب قديما بالقافية، يقول ابن جني: " ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع... والقافية أشرف عندهم من أوّلها، والعناية بها بها أمسّ، والحشد عليها أوفى وأهّمّ، وكذلك كلما تطرف الحرف في القافية ازدادوا عناية به، ومحافظة على حكمه[52]. وحكمه الذي يحافظ عليه: من حيث التماثل الصوتي مع بقية الأبيات، ومن حيث التوافق الحركي، فسبيل الشاعر أن يعنى بتهذيب القوافي وتحسينها واستجادتها فإنها حوافر الشعر، ورأس البيت ومركزه، "حمدا كان ذلك الشعر أو ذمّاً، وتشبيبا كان

[44] - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ط2، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج4، ص191-192.
[45] - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 122.
[46] - ابن جني، عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ط2، تحقيق: علي النجدي ناصف و عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار سركين للطباعة والنشر، ج2، ص 209.
[47] - العلوي، نضرة الإغريض، ص 432.
[48] المصدر السابق، ص 432.
[49] - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 123.
[50] - درو، إليزابث، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ص 45.
[51] - خانلرى، ترويز ناتل، حول وزن الشعر، ص 160-161.
[52] - ابن جني، عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج1، ص 84.

أو نسيبا، ووصفا كان أو تشبيها"[53]، فهي الملكة "الجميلة المستبدة" و"تاج الإيقاع الشعر"[54]، و " مظنة اشتهار الإحسان أو الإساءة.[55]

وكما نرى هذا المصطلح له اهتمام بالغ الأثر في الصناعة المعجمية عند علماء المعجم فقد كان التطور في التأليف العجمي العربي يتجه إلى التسهيل على مستعمل المعجم، وقد لاحظنا ذلك في محاولة ابن دريد في الجمهرة لتيسير طريقة العين. فترك ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا إلى ترتيبها ترتيبا ألفبائيا، وكذا ابن فارس كان من أبرز التغييرات التي سلكها أن ترك تقليب الكلمات، فذكر كل كلمة في موضعها.

وحدث التغيير الكبير في تأليف المعجم العربي حينما تركت معظم الأسس الثلاثة التي بُني عليها معجم العين والمعاجم التي تبعته, وكان هذا التغيير يتبني ترتيب المعجم ترتيبا ألفبائيا على الحرف الأخير بابا والأول فصلا، ففي هذه المدرسة ترك الترتيب الصوتي للحروف وهو الأساس الأول لمعجم العين, وتقسيم الكلمات على الأبنية وهو الأساس الثاني, وتقليب الكلمات على الأوجه المستعملة وهو الأساس الثالث.

يتضح أن التغيير الذي أصاب المعجم في هذه المدرسة تغيير كبير، لكونه قفزة في تصنيف المعجم اتجهت إلى التيسير على المطالعين، بسلوكها طريقا سهلا خلّص المعجم من مواطن الصعوبة التي اتّسم بها.

وعرفت هذا المدرسة بمدرسة التقفية، لكون ترتيب الألفاظ اعتمد على قافية الكلمة وهي آخرها.

[53] - الحاتمي، الرسالة الموضحة، ص 42.
[54] - كشك، أحمد، القافية تاج الإيقاع والشعري، القاهرة، توزيع دار المعارف بالفجالة، 1983.
[55] - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 271.

الخاتمة:

والملاحظ من خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي للقافية أنه لم يرتبط من دلالات المادة المعجمية للقافية بدلالتها الاصطلاحية سوى دلالة واحدة، هي التتبع ، وقد شار أصحاب المعاجم إلى هذه العلاقة، يقول الخليل:" قفا يقفو وهو أن يتبع شيئا ... والقفا مؤخرة العنق ... وسميت قافية الشعر قافية؛ لأنها تقفو البيت، وهي خلف البيت كله"[56]، ويقول ابن دريد: " سموا القوافي من الشعر؛ لأن بعضها يقفو بعضا في الكلام، أي: يتلوه، وقفوت الرجل: إذا تبعته"[57]، ويقول الأزهري: " قفا يقفو قفوا: وهو أن يتبع شيئا... وسميت قافية الشعر قافية، لأنها تقفو سائر الكلام، أي تتلوه وتتبعه"[58] ، ويقول ابن فارس: " وسميت قافية البيت قافية؛ لأنها تقفو سائر الكلام، ومنه الكلام، أي: تتلوه وتتبعه"[59]، ويقول الجوهر: " وقفوت أثره قفوا، أي اتبعته... ومنه الكلام المقفى، ومنه سميت قوافي الشعر؛ لأن بعضها يتبع أثر بعض"[60]، ويقول ابن منظور: " والقافية من الشعر: الذي يقفو البيت، وسميت قافية؛ لأنها تقفو البيت"[61]، ويقوا الزبيدي: " والقافية من الشعر: الذي يقفو البيت، سميت؛ لأنها تقفوه"[62]

قائمة المصادر:

- الأخفش : سعيد بن مسعدة، القوافي، ص تحقيق: الدكتورة عزة حسن، دمشق.
- التنوخي: ابو يعلي، القوافي، تحقيق: الدكتور مُحَمَّد عوني عبد الرؤف، القاهرة، 1975، مكتبة الخانجي، ط1.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ط2، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج4.
- ابن جني، عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية.
- ابن جني، عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ط2، تحقيق: علي النجدي ناصف و عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار سركين للطباعة والنشر، ج2.

[56] - كتاب العين ج5، ص 221-222,
[57] - كتاب جمهرة اللغة، ج3، ص 156.
[58] - تهذيب اللغة، ج9، ص 325.
[59] - مقاييس اللغة، ج 5، ص 112.
[60] - تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، ص 2415.
[61] - لسان العرب، ج 8، ص 634.
[62] - تاج العروس من جواهر القاموس، ج 10، ص 299.

- الحاتمي، مُحَمَّد بن حسن ، الرسالة الموضحة في ذكرى سرقات ابي الطيب المتنبي وساقط شعره، تحقيق مُحَمَّد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1385هـ/1965م.
- خانلرى، ترويز ناتل، حول وزن الشعر.
- درو، إليزابث، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه.
- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين. – مقرر علم القافية، المملكة العربية السعودية
- ابن السراج السنتريني، الكافي في علم القوافي، تحقيق: الدكتور مُحَمَّد رضوان الداية، بيروت، 1968.
- سلطان، مُحَمَّد علي، العروض وموسيقى الشعر العربي، جامعة دمشق.
- اختيار الأصمعي: عبد الملك بن قريب، الأصمعيات، تحقيق وشرح، أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة، 1977، ط4.
- ابو العلاء المعري، ضوء السقط، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس. لم يرقم.
- العلوي، المظفر بن الفضل، نضرة الإغريض في نصرة القرض، ط2، تحقيق، نهي عارف الحسن، دار صادر، بيروت، مجموعة العربية بدمشق، 1416هـ/ 1995.

- أبو علي مُحَمَّد بن المستنير، بغية الوعاة، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت ج1.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة ، العراق، 1986م، ج5.
- الفضل الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر و عبد السلام هارون، القاهرة، 1976، دار المعارف، ط5.
- القاضي التنوخي، كتاب القوافي.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، القاهرة، 977، دار المعارف، ط2.
- القيرواني: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق مُحَمَّد محيي ، بيروت، 1972، ط1.
- الدكتور: قيصر مصطفى، الجديد في علم العروض والقوافي: ، الأشرف للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان– بيروت.
- كشك، أحمد، القافية تاج الإيقاع والشعري، القاهرة، توزيع دار المعارف بالفجالة، 1983.
- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ط1، ترجمة مُحَمَّد الولي ومُحَمَّد العمري، دار تو بقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986.
- مُحَمَّد حماسة عبداللطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية.

- المرزوقي، أحمد بن مُحَمَّد، شرح ديوان الحماسة، تحقيق، أحمد أمين عبدالسلام هارون، القاهرة، 1967.
- الملائكة، نازك، سايكولوجية اللغة ومقالات أخر.
- ابن كيسان: ابو الحسن مُحَمَّد بن أحمد، تقليب القوافي وتلقيب حركاتها، تحقيق: إبراهيم السامرائي، منشور في رسائل ونصوص، الأردن، 1988، مكتبة المنار، ط1
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994.
- ابو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، المكتابة والشعر، ط1، تحقيق على مُحَمَّد البجاوي و مُحَمَّد ابو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ، 1371هـ/ 1952م.
- ابو يعلي التنوخي، عبد الباقي بن عبدالله، كتاب القوافي، ط2، 1978م.